الدكتور فيصل دراج

الرّوايَة الفلسطينيَّة بَين الوَهم والوَاقِع

عراة من وطن ومن علم وسروجهم من ذهب

اميل حبيبي – لكع بن لكع

بدايات

سأحاول هنا ان ادرس، **بشكل تقريبي**، بعض ملامح «الرواية الفلسطينية» كما تستعلن في ست روايات، ومن هذه الملامح سأحاول ان اصل الى حقيقة هذه «الرواية» وأوهامها. والحقيقة نسبية كما الوهم، وفي تلازم الوهم والحقيقة تنمو الظاهرات والاحوال. وعندما نأخذ بهذا القول ونسحبه على ما يجب ان يسميه البعض بـ «الرواية الفلسطينية» نقول: سندرس حدود هذه الرواية، علاقتها بالوضع النظري للرواية وحدود علاقتها مع الواقع الذي تحاول كتابته. فماذا تكتب هذه الرواية؟

كتابة الواقع روائيا تعني انتاجه وفقا لحدود وعي اجتماعي معين. والفلسطيني عندما «يروي» واقعه فإنه لا يرسم واقعا بقدر ما يرسم حدود وعيه التاريخي الذي يتحرك في حقل معين من الصراع والنضال، اي ان الفلسطيني، في **وعيه الروائي**، يشير **بشكل متواقت إلى حدود وعيه العام**. والوعي الروائي هنا لا يفارق الوعي العام، ولا ينعزل عنه بل انه قائم فيه او لنقل ان هذا الوعي يتحدد عندما يعالج موضوعا بأدوات معينة، فالكاتب لا ينتج الواقع روائيا انطلاقا من وعي مستقل متعال اسمه الوعي الروائي بل ينطلق من وعيه العام الذي يتميز عندما يحاول كتابة رواية ويأخذ اسم الوعي الروائي. لهذا فإن الوعي العام ينكشف ويفضح نفسه عندما يتحول الى وعي مكتوب، فالرواية الفلسطينية بالرغم من منطلقاتها الوطنية وشعاراتها السياسية، تعرّي وعي من كتبها، وتشير الى مركبات الايديولوجيا التي انطلق منها. وبسبب ذلك العري وتلك الاشارة نقول ان هذه الرواية هي في **طور التكوين**، نستثني من ذلك بالطبع اسماء قليلة. لكن مثل هذا القول يطرح سؤالا مباشراً: كيف تكون هذه الرواية في طور التكوين وهناك روايات فلسطينية «كثيرة»؟

لا يجد السؤال السابق اجابته في عنصر واحد بل في جملة عناصر لا مكان